

استمرار الحرب بلا حسم أو توقف مع مفاوضات الحرب الروسية - الأوكرانية تدخل عامها الثاني

دخلت الحرب الروسية - الأوكرانية عامها الثاني، ولا مؤشرات تدل على حسم عسكري أو حل سياسي. روسيا التي دخلت الحرب بقرار منفرد، ليس في يدها قرار الخروج من حرب قلبت المشهد العالمي رأسا على عقب. فالأميركيون مع حلفائهم الأوروبيين لا يتقبلون فكرة ان تخرج روسيا منتصرة، ويسعون الى طاولة مفاوضات تجلس عليها اوكرانيا من موقع قوة لا ضعف

الدعم الاوروبي "السياسي"، يقابله دعم اميركي عسكري. الاستراتيجية الاميركية هي استراتيجية عسكرية حتى اشعار آخر، وتقوم واشنطن بتحديث استراتيجيتها للحرب الأوكرانية، بثلاث طرق:

1- استمرار الحرب من دون حسمها: في ظل الوضع الميداني الحالي، من المرجح استمرار التصعيد بين طرفي الحرب. فروسيا تريد ان تبرز انها قادرة على تحدي الغرب، وان لديها كل المقومات التي تجعلها طرفا وازنا واساسيا في نظام دولي تعددي تطمح اليه. في حين تسعى الولايات المتحدة، مدعومة بعدد من الدول الغربية الاخرى، الى تأكيد انها القطب الاوحد المؤهل لقيادة النظام الدولي.

ونظرا الى حجم الخسائر التي طالت اوكرانيا، بعدما تعرضت بنيتها التحتية للتدمير، وفقدت اجزاء مهمة من اراضيها، وعددا كبيرا من جنودها وسكانها المدنيين، فمن المتوقع ان كيبف لن تستسلم، ولن تقبل بغير الاستمرار في الدفاع عن اراضيها، على امل اعادة الامور الى نصابها، لاسيما انها مدعومة بشكل كبير من جانب القوى الغربية، خصوصا الولايات المتحدة التي لن تتردد في جعل هذه الازمة

مع دخول الحرب الروسية على اوكرانيا سنتها الثانية، يخطط الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لاطالة امدها. وقد اعلن عن مرحلة جديدة في اطار تطوير القدرات العسكرية لبلاده، واضعا ملامح استراتيجية روسيا العسكرية في 2023، والخطوات المقبلة على صعيد تعزيز القدرات لتحقيق كل اهدافها في اوكرانيا. وفي مقابل تأكيده اهمية دعم النشاط الحربي للجيش وقوات الحلفاء في المعركة التي وصفها بانها مصيرية، شدد على عزم بلاده على تطوير ترسانتها النووية، وتثبيت مبدأ توازن الردع النووي. وتحدث عن مرحلة جديدة على صعيد تزويد وحدات الجيش ترسانة صاروخية حديثة من الطرازات التي وصفت بانها خارقة، ورفع من وتيرة عمليات القصف التدميري مستخدما الصواريخ والطائرات من دون طيار والمدفعية ضد الشبكة الكهربائية الأوكرانية وغيرها من منشآت البنية التحتية الرئيسية لجعل السكان يعانون ويضغطون على قيادتهم.

ربما يفكر بوتين في مخرج لائق من هذه الحرب، وهذا امر مرده الى ان الحرب لم تحقق اي هدف من اهدافها، لكن الرئيس الروسي ليس في حال من الضعف ليقر بالفشل، ولا يزال لديه من الاسلحة ما يمكن استخدامه، لذا يضع السلاح النووي في المعادلة لمنع وقوع الهزيمة.

القمة بين الاتحاد الاوروبي واوكرانيا التي انعقدت في كيبف، وهي الاولى منذ بداية الحرب، شكلت في حد ذاتها اكبر مؤشر على عزم الاوروبيين مواصلة دعم غير مسبوق لاوكرانيا يقدم لها منذ الاجتياح الروسي لاراضيها قبل عام. لكن من الواضح ان الدعم الاوروبي لاوكرانيا يبقى دعما سياسيا في الدرجة الاولى، وان اوروبا لا تستطيع ان تلبي اوكرانيا في مطالبها الاساسية المتمحورة حول رفع مستوى الدعم العسكري لها وتسريع انضمامها الى الاتحاد الاوروبي.



موقت، لوقف اطلاق النار، ثم الدخول بعد ذلك في مفاوضات لا شك في انها ستطول بالنظر الى حجم الاشكالات المتراكمة، وامتلاك كل طرف اوراق ضغط سيحرص على توظيفها. فاوكرانيا ستكون معززة بورقة العقوبات الغربية التي لا تخفى انعكاساتها على روسيا، فيما ستوظف هذه الاخيرة ورقة الوجود العسكري داخل عدد من المناطق الأوكرانية، ونقص امدادات الطاقة لاوروبا، وهو ما قد يفضي مستقبلا الى وضع ترتيبات ميدانية تضمنية بالنسبة الى موسكو، كضمان حياد كيبف او الاتفاق على منطقة منزوعة السلاح على حدود اوكرانيا، مع رفع العقوبات عنها، في مقابل الانسحاب الروسي من المناطق الأوكرانية.

يرى مراقبون وخبراء ان الغرب في ورطة كبيرة بسبب الحرب الأوكرانية. وهو، اي الغرب يريد الخروج منها في اسرع وقت ممكن، لانها اصبحت مكلفة جدا. لكن الواقع الجيوسياسي يقول العكس، اذ لا مفر للغرب، خاصة اميركا، من مساعدة اوكرانيا. فلو استطاع بوتين السيطرة على اوكرانيا بسرعة، ومن دون تعثر، فكيف سيكون عليه النظام العالمي؟ وكيف كان من الممكن ان ترد اميركا والتاتو اذا اصبح الجيش الروسي على مرمى حجر من بروكسل مركز قيادة الحلف؟ وكيف ستبدو صورة الولايات المتحدة للحلفاء؟ وكيف ستصرف الصين تجاه جزيرة تايوان؟

الجواب الاكيد عن كل هذه التساؤلات هو على الشكل التالي: انهيار النظام العالمي الذي بنته اميركا بعد الحرب الثانية. ستضرب شرعية اميركا وصدقيتها كقوة مصنفة اولى بين متساوين، وسيذهب العالم الى فوضى كارثية. هنا تتظهر المعادلة الجيوسياسية التالية:

- لن يسمح الغرب لبوتين بالانتصار الواضح، كي لا يهدد اوروبا والمحيط المباشر لروسيا.

- لكن الغرب لن يسمح بهزيمة مذلة للرئيس بوتين تضطره الى استعمال النووي.

من ضمن هذه المعادلة الجيوسياسية الكبرى، تدار الحرب في اوكرانيا ضد روسيا. ومن ضمن هذه المعادلة، يمكن رصد نوعية الاسلحة التي تزود بها اوكرانيا. فهذه الاسلحة كافية لمنع بوتين من الانتصار لكنها ليست قادرة على الحاق الهزيمة به.

والاقتصادية، ليست قادرة على الاستمرار في عملياتها لمدة اطول، خاصة مع ضغوط العقوبات الاقتصادية والسياسية التي فرضتها الدول الغربية عليها. كما ان اوكرانيا، التي تعرضت لتدمير واضح لبنيتها التحتية المختلفة، بل ولاقتطاع اجزاء من اراضيها، غير قادرة وحدها على المضي قدما في مواجهة خصم عنيد، هدد مرات عدة باستعادته لاستخدام كل الخيارات العسكرية، بما فيها النووية.

اما الدول الغربية، فقد بدأت تجد نفسها وجها لوجه امام وضع صعب بفعل الانعكاسات القاسية التي افرزتها الحرب من جهة، على مستوى تزايد حالات الهجرة واللجوء، والنتائج العكسية للعقوبات، لاسيما في ما يتعلق بتأمين حاجات الدول الاوروبية من واردات النفط والغاز وعدد من المنتجات الزراعية، ثم ارتفاع اسعار المواد الاساسية، وتزايد نسب الفقر داخل مجتمعاتها، وتوقف عدد من المصانع عن العمل، وتنامي المطالب الاوروبية الداعية لارساء سياسات سيادية مستقلة عن الولايات المتحدة. علاوة على تزايد فائورة الدعم الكبير والمساعدات السخية التي دأبت على توجيهها لاوكرانيا من اجل مساعدتها على الصمود في مواجهة القوات الروسية. لذلك، لا يمكن ان تستمر الدول الاوروبية بقبول الوضع الراهن او تفاقمه نحو الاسوأ، او مجاراة الولايات المتحدة بحساباتها الاستراتيجية في مواقعها، نظرا الى التكلفة الضخمة التي ستتحمل جزءا كبيرا منها. وبالتالي، فان التصعيد القائم حاليا من اطراف الحرب الأوكرانية قد يصل بالصراع الى نقطة الذروة التي تمهد الى عقد اتفاق، ولو

مناسبة للدفع نحو التصعيد المحسوب، نظرا الى ما ستجنيه من انعكاسات ايجابية، ما دامت بعيدة جغرافيا عن موقع النزاع، مع رغبتها في ارهاق روسيا واستنزافها عسكريا واقتصاديا من جهة اولى، واشعار الدول الاوروبية بأهمية التكتل الى جانب واشنطن في اطار حلف شمال الاطلسي لمواجهة التهديدات الروسية، من جهة ثانية.

كما ان روسيا التي ربما غامرت بتدخلها العسكري وسخرت لذلك امكانيات بشرية واقتصادية ضخمة، لن تنسحب بشكل سريع او فجائي، او تراجع عن عملياتها، بعدما حققت تقدما على المستوى الميداني، وتعرضت في مقابل ذلك لعقوبات غريبة قاسية. وعلى الرغم من الامكانيات العسكرية الهائلة المتوافرة لموسكو، فانها لم تستطع كسب المعركة لصالحها حتى الان، خصوصا مع صمود القوات الأوكرانية، بل وتقدمها احيانا في عدد من المواقع، كما ان كيبف مصرة على الاستمرار في السير قدما نحو تحقيق اهدافها باستعادة اراضيها من القوات الروسية.

وتمثل هذه المعطيات مؤشرا على امكان اطالة امد المعركة التي قد تأخذ شكل محاولة كل طرف لاستنزاف الاخر، بهدف ارغامه على التراجع والانصياع، والسعي لاكتساب اوراق للضغط، خصوصا ان احتمال استخدام السلاح النووي كأداة لحسم النزاع يظل غير مرجح، سواء من الجانب الروسي او الغربي.

2- الدخول في مفاوضات لوقف الحرب: على الرغم من الاتجاه نحو التصعيد العسكري على الارض، من المؤكد ان الحرب اصبحت مكلفة لكل الاطراف. فروسيا، بامكانياتها العسكرية